الفصل الرابع

ثمار الأخوة في الله

المبحث الأول ـ الثمار الدنيوية العاجلة :

١ ـ المحبة :

جاء الاسلام بالأخوة الايمانية فوحد المسلمين وساوى بينهم • فكان من آثار هذه المساواة الانسانية والوحدة الايمانية قيام جسر متين من المحبة بين المؤمنين يعبر الى قلب كل موحد لله مؤمن بالاسلام •

ـ وقيام هذا الجسر الودى كان أثرا طبيعيا لعقيدة الايمان[١] • فان وحدة الفكر والمنهج والهدف تخلق ميلا عاطفيا •

وللنظرة الاسلامية الى الانسان أثرها فى ذلك ، فان انسانا خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وجعله خليفة فى أرضه واستعمره فيها وكرمه بشرعه وشرفه بعبادته ، جدير بالمحبة والتكريم •

ـ لذا جعل الاسلام هذه المحبة قيدا فى الايمان فقال عليه الصلاة والسلام : « لاتدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا »[٢] ومنعها مع الكفار ، فقال تعالى :

﴿ يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ﴾[٣] •

وهى ثمرة الأخوة ، والأخوة ثمرة الايمان ، فالمحبة ثمرة للايمان[٤] فكانت الأخوة والمحبة قبسين خرجا من مشكاة واحدة •

---

(١) الحق ومدى سلطان الدولة فى تقييده ـ فتحى الدرينى ص ٢٢٧
(٢) عن ابى هريرة (صحيح مسلم جـ ١ ص ٥٤ ، ٧٤) .
(٣) الممتحنة : ١
(٤) الحق ومدى سلطان الدولة فى تقييده ـ فتحى الدرينى ص ٢٢٧

ـ فلا بد أن تكون تلك المحبة خالصة لله . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه الا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار »[1] .

والمحبة بين المؤمنين تمثل الجانب القلبى فى علاقة الأخوة الايمانية وهو الجانب المؤثر فى غيره من الجوانب الفعلية الحركية فيخلق التعاون والتناصر والتناصح والتسامح .

ان أدنى مراتب هذه المحبة هى المشاركة الشعورية :

ـ من الانتماء الى الحزب المؤمن والانتساب له ـ ونعم النسب .

يقول الله تعالى : ﴿ **ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين** ﴾[2] .

فاذا وقف المسلم بين يدى الله لينا جيه ويتضرع اليه لم تجر العبادة على لسانه كعبد منفصل عن اخوانه بل كطرف من مجموع متسق مرتبط ، يقول ﴿ **اياك نعبد واياك نستعين** ﴾[3] .لا : اياك أعبد واياك أستعين !![4] .

ـ والشعور بالمساواة : مع المؤمنين ، فلا استعلاء ولا غمط لمسلم ، يرى المسلمين كأسنان المشط وهو كواحد منها ـ لا يتطاول عليها . وهذا المعنى زرعه الاسلام فى قلوب أهله ، فكانت خطاباته تتناول الجماعة كلها بالتأديب والارشاد ، ثم من الدرس الذى يلقى على الجميع يستمع الفرد وينتصح[5] .

---

(١) صحيح البخارى ص ١٦ ؛ صحيح مسلم جـ ١ ص ٤٣ ، ٦٦

(٢) فصلت : ٣٣ (٣) الفاتحة : ٥

(٤) خلق المسلم ـ محمد الغزالى ، ص ٢١٧

(٥) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

وحين يسأل الله من خيره لا يختص نفسه بالدعاء ، فيطلب الهداية له ولغيره : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾(١) .

ويسلم على اخوانه المؤمنين كما سلم على نفسه فى تشهد الصلاة . « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » .

ـ وحب الخير للمؤمنين والفرح به لهم . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »(٢) وهذا يدل على سر التعبير بالنفس فى قوله تعالى : ﴿ **فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم** ﴾(٣) .

ولذا حذر الاسلام من الحسد تحذيرا شديدا ، فقال عليه الصلاة والسلام : « اياكم والحسد فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ـ أو قال : الخشب »(٤) .

ـ والتألم للشر يصيب المؤمنين وكراهيته لهم . قال الله تعالى متوعدا من يسره السوء والمعصية تقع فى المسلمين ﴿ **ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾(٥) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك »(٦) .

---

(١) الفاتحة : ٦ ، ٧

(٢) صحيح البخارى ص ١٣ ، صحيح مسلم جـ ١ ص ٤٥ ، ٦٧

(٣) النور : ٦١

(٤) ابو داود (٤٩٠٣) جـ ٥ ص ٢٠٨ ، ابن ماجه (٤٢٦٣) عن انس .

(٥) النور : ١٩

(٦) الترمذى (٢٥٠٨) عن واثلة بن الأسقع .

ـ وأقل أحوال هذا الشعور الودى السلامة من الحقد والطهارة من الغل للمؤمنين • قال الله تعالى :

﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنـا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غـلا للذين آمنوا ربنـا انك رءوف رحيـم ﴾(١) •

وهذا ثناء عطر من الله على المؤمنين الذين صفت قلوبهم وسلمت من أى حقد على مؤمن • عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة» ، فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد تعلق نعليه فى يده الشمال ، فلما كان الغد قال النبى صلى الله عليه وسلم مثل مقالته أيضا ، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى ، فلما قام النبى صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال : انى لاحيت أبى فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثا ، فان رأيت أن تؤوينى اليك حتى تمضى فعلت ، قال : نعم • قال أنس : وكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالى الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه اذا تعار وتقلب على فراشـه ذكر الله عز وجل وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر • قال عبد الله : غير أنى لم أسـمعه يقول الا خيرا ،فلما مضت الثلاث ليال وكدت أن أحتقر عمله قلت : يا عبد الله ، انى لم يكن بينى وبين أبى غضب ولا هجر ثم ، ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك ثلاث مرار : «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة» فطلعت أنت الثلاث مرار فأردت أن آوى اليك لأنظر ما عملك فأقتدى به فلم أرك تعمل كثير عمل ، فما الذى بلغ بك ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسـلم ؟ فقال : ما هو الا ما رأيت • قال : فلما وليت دعانى فقال : الا ما رأيت ، غير أنى لا أجد فى نفسى لأحد من المسلمين غشـا ولا أحسد أحد على خير أعطاه الله اياه • فقال عبد الله : هذه التى بلغت بك وهى التى لا نطيق »(٢) •

---

(١) الحشر : ١٠

(٢) رواه أحمد فى المسند جـ ٣ ص ١٦٦

ـ أما أعلى مراتب هذه المحبة فهو الايثار : وهو تقديم الغير على خطوط النفس الدنيوية رغبة فى الأجر والثواب • وهو من أفضل المكارم الانسانية ومن أنبلها خلقا وأصالة • وقد امتدح الله فى القرآن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلق الايثار والمحبة •• فقال عز من قائل :

﴿ **والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾(١) •

وقد روى فى سبب نزول هذه الآية قصة تعد من أفخر ما سطر التاريخ من روائع المآثر والايثار (٢) • فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : انى مجهود ، فأرسل الى بعض نسائه فقالت : والذى بعثك بالحق ما عندى الا ماء • ثم أرسل الى أخرى فقالت مثل ذلك ، حتى قلن كلهن مثل ذلك : لا والذى بعثك بالحق ما عندى الا ماء ـ فقال : «من يضيف هذا الليلة رحمه الله»؟ فقام رجل من الأنصار فقال : أنا يا رسول الله ، فانطلق به الى رحله فقال لامرأته : هل عندك شىء ؟ قالت : لا ، الا قوت صبيانى قال : فعللهم بشىء فاذا دخل ضيفنا فأطفئى السراج وأريه أنا نأكل فاذا أهوى ليأكل فقومى الى السراج حتى تطفئيه • قال : فقعدوا وأكل الضيف • فلما أصبح غدا على النبى صلى الله عليه وسلم • فقال : « عجب الله من صنعكما بضيفكما الليلة »(٣) •

ولقد جعل الله الايثار بالمال ركنا فى البر وقرنه بالايمان ، فقال عز وجل :

﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب** ﴾(٤) •

---

(١) الحشر : ٩
(٢) التكافل الاجتماعى فى الاسلام ـ عبد الله علوان ص ٥٥
(٣) صحيح البخارى (٣٧٩٨) صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٦٢٤ ، ٢٠٥٤
(٤) البقرة : ١٧٧

وحين عكس المطففون الصورة المشرقة للايثار ، فان كالوا نقصوا وإذا اكتالوا استوفوا وهو عين الأثرة ـ توعدهم الله بالويل ، فقال تعالى :

﴿ ويل للمطففين . الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون . واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ﴾(١) .

ـ ومن المراتب العلية للمحبة الايمانية العفو . وهو قرين الايثار ، لأن كلا منهما اسقاط لحق النفس من أجل الغير رغبة فيما عند الله . وأفضله ما كان عند المقدرة .

وأصدق مثال له : قصة يوسف مع اخوته التى حكاها القرآن الكريم مفصلة مرتبة محكمة بما لا يستطيع مثله أفصح لسان وأبين انسان . فهذا يوسف يؤخذ من بين يدى أبيه صباحا الى المرعى ليعود اليه مسرورا فى المساء . ثم لا يعود ، ويلقى فى غيابة الجب ، ويدعى اخوته أكل الذئب له ، فيجيبهم والدهم الصابر الواثق بالله :

﴿ بل سولت لكم انفسكم أمرا ، فصبر جميل ، والله المستعان على ما تصفون ﴾(٢) .

ولا يزال يوسف يبتعد عن أبيه مكانا ويقترب منه لقاءا . وتشتد وطأة الحزن على يعقوب حين يلحق بنيامين بيوسف ، فتشتد ثقته بالله ، ويعود يكرر ما قال حين فجع بيوسف :

﴿ بل سولت لكم انفسكم امرا ، فصبر جميل ، عسى الله أن يأتينى بهم جميعا ، انه هو العليم الحكيم ﴾(٣) .

وعند تعقد حبك القصة تنكشف الأحداث المجهولة ، وتظهر الوجوه الغائبة ، وتلتقى الأبدان المتباعدة ، وتأتلف القلوب المتنافرة ، حين يرى اخوة يوسف أخاهم الذى عذبوه وأبعدوه صغيرا عن حنان أبيه الى ذل

---

(١) المطففين : ١ ـ ٣ (٢) يوسف : ١٨ .
(٣) يوسف : ٨٣

الرق وقسوة الاستعباد وغربة الوطن وضيق السجن ـ وهو عزيز مصر وحافظ أموالها • فيعتذرون اليه : ﴿ **قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنـا لخاطئين** ﴾(١) •

فأجابهم ـ بروح الأخ المؤمن المسـامح : ﴿ **قال لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم ، وهو ارحم الراحمين**﴾(٢).. وبمثل هذا كان موقف أبيهم الذى تجرع مرارة بعد ابنيه عنه وكفاف بصره •

﴿ **قال سوف أستغفر لكم ربى ، انه هو الغفور الرحيم** ﴾(٣) •

﴿ **لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب** ﴾(٤) •

والعفو مزيل للضغائن ، محل للمحبة والاخاء محل البغض والعداء• قال تعـالى : ﴿ **ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم** ﴾(٥) •

وقد وعد الله العافين عن الناس بالمغفرة والجنة • فقال عز وجل :

﴿ **وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض اعدت للمتقين . الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعـافين عن الناس ، والله يحب المحسنين** ﴾(٦) •

ـ ولقد حرص الاسلام على تحقيق المحبة بين المؤمنين •

فكما أن شرائعه رافد كبير للمحبة بين المؤمنين ، سواءا فى الصلاة التى يؤديها المسلمون جماعة تحت سقف واحد يتبعون اماما خمس مرات فى اليوم والليلة ، أو فى الزكاة التى يواسى بها الأغنياء الفقراء كل عام ، أو فى الصوم الذى يشعر الغنى بحجة أخيه الفقير الجائع ، أو فى الحج

---

(١) يوسف : ٩١ (٢) يوسف : ٩٢

(٣) يوسف : ٩٨ (٤) يوسف : ١١١

(٥) فصلت : ٣٤ (٦) آل عمران : ١٣٣ ، ١٣٤

الذى يأتمر فيه المسلمون ، ويستوى زيهم ، ويلتئم شعبهم[1] . أو فى الأعياد التى تعود بطيب اللقاء وخالص الحب على المؤمنين مرتين كل عام.

فكذلك شرع أعمالا تثبت هذه المحبة وتزيدها :

فأمر بافشاء السلام ورده والمصافحة عند اللقـاء واظهار البشاشة فى الوجه ــ قال تعالى :

﴿ فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية من عنـد الله مباركة طيبـة ﴾(٢) .

وفى الحديث : « لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أو لا أدلكم على شىء اذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السـلام بينكم »[3] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان الا غفر لهما قبل أن يفترقا »[4] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق »[5] .

وأمر بتشميت العاطس . قال عليه الصلاة والسلام : « اذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه »[6] .

وأمر بزيارة المريض ــ قال صلى الله عليه وسلم : « ان المسـلم اذا عادة أخاه المسلم لم يزل فى خرفة الجنة حتى يرجع »[7] .

---

(١) انظر : معالم الثقافة الاسلامية ــ عبد الكريم عثمان ، ص١٥٢،١٥٣
(٢) النـور : ٦١
(٣) صحيح مسلم جـ ١ ص ٥٤ ، ٧٤
(٤) أبو داود : جـ ٥ ص ٣٨٨ ، ٥٢١٢
(٥) صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٠٢٦ ، ٢٦٢٦
(٦) صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٢٩٢ ، ٢٩٩٢
(٧) صحيح مسلم جـ ٤ ص ١٩٨٩ ، ٢٥٦٨

وأمر بافساح المسلم لأخيه فى المجلس ــ قال تعالى :

﴿ يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم ﴾(١) .

وحث على ادخال السرور عليه وأن يدعوه بأحب الأسماء اليه .

قال صلى الله عليه وسلم : « من لقى أخاه المسلم بما يحب ليسره بذلك سره الله يوم القيامة »(٢) . يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ثلاث يصفين ود أخيك : أن تسلم عليه اذا لقيته ، وتوسع له من المجلس ، وتدعوه بأحب الأسماء اليه(٣) .

ان مما يبعث السرور فى النفس البشاشة والابتسام فى الوجه . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « تبسمك فى وجه أخيك لك صدقة »(٤) .

وكذلك الشكر لمن صنع لك معروفا ، وقد أكد على ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « من لم يشكر الناس لم يشكر الله »(٥) .

وشرع ما يخفف المصائب وما يعالج الحزن والكآبة اللذين يعتريان النفوس بسبب موت أو مرض . فمن هديه صلى الله عليه وسلم أنه كان يدنو من المريض ويجلس عند رأسه ويسأله عن حاله ، وكان يمسح بيده اليمنى على المريض(٦) .

وقد روى ابن عباس : كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا دخل على مريض يعوده قال له : « لا بأس .. طهور ان شاء الله »(٧) .

---

(١) المجادلة : ١١
(٢) الطبرانى : المعجم الصغير جـ ٢ ص ١٤٧
(٣) الأخوة ــ حاسم مهلهل ، ص ٦١
(٤) الترمذى (١٩٥٧) عن أبى ذر .
(٥) أبو داود : جـ ٥ ص ١٥٧ ، ٤٨١١
(٦) زاد المعاد ــ ابن القيم جـ ١ ص ٤٩٤
(٧) فتح البارى ــ العسقلانى جـ ١٠ ص ١١٨ ، ٥٦٥٦ ، الترمذى (١٩٥٦) عن أبى سعيد .

ولا شك أن لتلك الأفعال وهذا القول أثر بالغ فى نشـاط نفس المريض وتخفيف آلامه وايقاظ آماله فى الشفاء .

وأما عند مصيبة الموت فقد شرع الاسلام التعزية لأهل الميت فى مصابهم ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم حاثا عليها : « ما من مؤمن يعزى أخـاه بمصيبة الا كسـاه الله عز وجـل من حلل الكرامة يوم القيـامة »[1] .

واذا كانت التعزية دعوة الى الصبر واحتساب الأجر عند الله فى المصيبة فهى أيضا مشاركة شعورية أخوية وكلاهما عاملا تخفيف للمصيبة وباعثان للمحبة والألفة . كذلك أمر أن يصنع لأهل الميت طعاما يرسـل اليهم به ، فقـد روى عبد الله بن جعفر قال : لمـا جـاء نعى جعفر حين قتل قال النبى صلى الله عليه وسـلم : « اصنعوا لآل جعفر طعاما فقـد آتاهم ما يشغلهم »[2] .

وهذا من أعظم مكارم الأخلاق والشيم والحمل عن أهـل الميت فانهم فى شغل بمصابهم عن اطعام الناس[3] .

وحث على الهدية ـ قال عليه الصلاة والسلام : « تهادوا فان الهدية تذهب وحر الصدر»[4] . وهى من هديه صلى الله عليه وسلم تقول عائشة رضى الله عنها : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها »[5] .

وأمر بالتواضع ـ قال عليه الصلاة والسلام : « ان الله أوحى الى أن تواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد »[6] .

وأوجب اجابة دعوة الأخ المسلم ـ قال صلى الله عليه وسلم : «حق المسلم على المسلم ست : اذا لقيته فسلم عليه ، واذا دعاك فأجبه .. »[7].

---

(١)ابن ماجه جـ ١ ص ٥١١ ، ١٦٠١
(٢) أبو داود جـ ٣ ص ٤٩٧ ، ٣١٣٢
(٣) زاد المعاد ـ ابن القيم جـ ١ ص ٥٢٨
(٤) الترمذى (٢١٣١) عن أبى هريرة .
(٥) صحيح البخارى (٢٥٨٥) عن عائشة .
(٦) أبو داود جـ ٥ ص ٢٠٣ ، ٤٨٩٥ ، ابن ماجه (٤٢٦٧) عن أنس .
(٧) صحيح مسلم جـ ٤ ص ١٧٥ ، ٢١٦٢

وحرض على قبول اعتذاره . قال عليه الصلاة والسلام : « من اعتذر الى أخيه بمعذرة لم يقبلها كان عليه مثل خطيئة صاحب مكس »[1] .

وحث على ستر عيوبه والذب عن عرضه . قال عليه الصلاة والسلام: « لا يستر عبد عبدا فى الدنيا الا ستره الله يوم القيامة »[2] . وقال : « من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة »[3] .

وأمر المسلم أن يعلم من يحبه أنه يحبه . قال عليه الصلاة والسلام : « اذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه »[4] .

وهناك أمور حرمها الاسلام حفاظا على المحبة والألفة بين المؤمنين : كالسخرية والاستهزاء والتنابز بالألقاب المكروهة وسوء الظن والتجسس والغيبة . قال تعالى :

﴿ يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون . يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ، ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه ، واتقوا الله ، ان الله تواب رحيم ﴾(٥) .

والنميمة ــ قال تعالى : **﴿ ولا تطع كل حلاف مهين . هماز مشاء بنميم ﴾(٦) .**

والنجوى دونه ــ قال تعالى : **﴿ انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا ﴾(٧) .**

---

(١) ابن ماجه (٣٧٦٢) عن جوذان .
(٢) صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٠٠٢ ، ٢٥٩٠
(٣) الترمذى (١٩٣٢) عن أبى الدرداء .
(٤) ابو داود جـ ٤ ص ٣٤٣ ، ٥١٢٤ ، الترمذى (٢٣٩٣) كلاهما عن المقدام بن معد يكرب .
(٥) الحجرات : ١١ ، ١٢
(٦) القلم : ١٠ ، ١١
(٧) المجادلة : ١٠

وقال عليه الصلاة والسلام : « اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن ذلك يحزنه »[1] .

والكبر ــ قال صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر »[2] .

والسب ــ قال عليه الصلاة والسلام : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر »[3] .

والهجر ــ قال عليه الصلاة والسلام : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال »[4] .

والرجوع فى الهبة ــ قال عليه الصلاة والسلام : « العائد فى هبته كالكلب يقيء ثم يعود فى قيئه »[5] .

والغش ــ قال صلى الله عليه وسلم : « من غشنا فليس منا »[6] .

والطعن فى النسب ــ قال صلى الله عليه وسلم : « اثنتان فى الناس هما بهم كفر : الطعن فى النسب والنياحة على الميت »[7] .

وبيع المسلم على بيع أخيه وخطبته على خطبته ــ فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيع حاضر لباد ، ولا تناجشوا ، ولا يبع الرجل على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه ، ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكفأ ما فى انائها »[8] .

واقامته فى مجلسه ــ عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « نهى النبى

---

(١) صحيح البخارى (٦٢٩٠) عن ابن مسعود ، صحيح مسلم جـ ٤ ص ١٧١٨ ، ٢١٨٤

(٢) صحيح البخارى (٦٠٧١) عن حارثة بن وهب .

(٣) صحيح البخارى (٦٠٤٤) ، صحيح مسلم (٦٤) عن عبد الله ابن مسعود .

(٤) صحيح البخارى (٦٠٧٧) ، صحيح مسلم جـ ٤ ص ١٩٨٤ ، ٢٥٦٠

(٥) صحيح البخارى (٢٥٨٩) ، صحيح مسلم (١٦٢٢) كلاهما عن ابن عباس .

(٦) صحيح مسلم جـ ١ ص ٩٩ ، ١٠١

(٧) صحيح مسلم جـ ١ ص ٦٧ ، ٨٢

(٨) صحيح البخارى (٢١٤٠) عن أبى هريرة .

صلى الله عليه وسلم أن يقيم الرجل أخاه من مقعده ويجلس فيه »[1] .

وقد جاء التصريح بهذا الحرص والاهتمام بأمر المحبة بين المؤمنين فى تحريم الله للخمر والميسر ، فقال عز وجل :

﴿ انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل انتم منتهون ﴾(٢) .

ـ انه بهذا كان المسلمون متحابين ، وبهذه المحبة القوية كانوا على أعلى صور الأخوة ، بل أصبحوا كالجسد الواحد ، يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »[3] ، [4] .

❀ ❀ ❀

٢ ـ التراحم :

الرحمة عاطفة حية نابضة بالرأفة والشفقة ، جعلها الله فى قلوب الخلق لاسعادهم ، لا ينزعها الا من شقى ، ولا تكون فى مجتمع تآلف واتحد وعز .

والتراحم بين المؤمنين أثر لأخوتهم الايمانية . هل ترى أن قلوبا تحابت فى الله ، ونفوسا تولت حرب الله ، لا ترق لأخ من ذلك الحزب ضعيف عاجز أو فقير محتاج !!

لقد كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم اخوة متراحمين ، وبذلك أثنى الله عليهم ، فقال تعالى :

﴿محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾(٥) .

---

(١) صحيح البخارى (٩١١) ، صحيح مسلم (٢١٧٧) عن ابن عمر .
(٢) المائدة : ٩١
(٣) صحيح البخارى (٦٠١١) ، صحيح مسلم جـ ٤ ص ١٩٩٩ ، ٢٥٨٦
(٤) انظر : الأخوة الايمانية ـ ابراهيم بن محمد آل سلطان ص ٣٢ـ٤٣
(٥) الفتح : ٢٩

ثم قال فى ثوابهم :

﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما﴾(١)

وهذا فى مقابل ما ذم الله به اليهود ، من عدم التراحم بينهم ، فقال تعالى:

﴿ باسهم بينهم شديد ، تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ، ذلك بانهم قوم لا يعقلون ﴾(٢) .

ـ وذم الله ورسوله القلب القاسى . وهو قلب خلا من الرحمة ، وامتلأ بالكبر . قال تعالى :

﴿ ألم يان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم ، وكثير منهم فاسقون ﴾(٣) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ان أبعد الناس من الله القلب القاسى »(٤) .

ـ وفى مفهوم الرحمة يدخل العدل ، اذ العدل فى الحكم رحمة ، والاحسان وهو تجاوز العدل فى التعامل الى الفضل رحمة . على أن الرحمة ـ كعامل نفسى ـ تستلزم انتفاء نية الاضرار عقلا(٥) .

وبهذه المعانى الثلاثة التى احتواها لفظ التراحم جاء قوله تعالى :

﴿ ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون ﴾(٦) .

ولقد جاء الاسلام بالتراحم العام والخاص :

ـ فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالتراحم العام فقال : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله عز وجل »(٧) .

---

(١) الفتح : ٢٩ (٢) الحشر : ١٤
(٣) الحديد : ١٦ (٤) الترمذى (٢٤١٣) عن ابن عمر .
(٥) الحق ومدى سلطان الدولة فى تقييده ـ فتحى الدرينى ص ٢٢٦
(٦) النحل : ٩٠
(٧) صحيح البخارى (٦٠١٣) ، صحيح مسلم جـ ٤ ص ١٨٠٩ ، ٢٣١٩

وقال أيضا : «ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء»[1].

وقرر الرحمة الخاصة لمن اتصف بالضعف والحاجة أو قامت عليه ولايــة :

ــ فحث على الرحمة للنساء • كالزوجة ، فى قوله تعالى :

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾(٢) •

وكالأرملة ، فى قوله عليه الصلاة والسلام : « الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله أو القائم الليل والصائم النهار »[3] •

وأمر بالرحمــة للأطفال ــ فعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : « قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن على وعنــده الأقرع ابن حابس التميمى جالسا ، فقال الأقرع : ان لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا • فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « من لا يرحم لا يرحم »[4] •

وقال عليه الصلاة والسلام : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا »[5] •

ــ واختص اليتامى بعناية فائقة • فدعا الى رحمتهم والاحسان اليهم والاصلاح لهم ولمــالهم •

قال تعالى : **﴿ ويسالونك عن اليتامى ، قل اصلاح لهم خير ، وان تخالطوهم فاخوانكم ﴾(٦) •**

---

(١) الترمذى (١٩٢٥) • أحمد (٦٤٩٤) كلاهما عن عبد الله بن عمرو •
(٢) الروم : ٢١
(٣) صحيح البخارى (٥٣٥٣) ، صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٢٨٦ ، ٢٩٨٢
(٤) صحيح البخارى جـ ٧ ص ٧٣ • ٥٩٩٧ ، صحيح مسلم جـ ٤ ص ١٨٠٨ ، ٢٣١٨
(٥) أبو داود جـ ٥ ص ٢٣٢ • ٤٦٤٣ (٦) البقرة : ٢٢٠

وقال أيضا : ﴿ فأما اليتيم فلا تقهر ﴾(١) .

وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا شكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه فقال له : « ان أردت تليين قلبك فأطعم المسكين وامسح رأس اليتيم »(٢) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا » .. وقال باصبعيه السبابة والوسطى(٣) .

ـ وشمل الشيوخ وكبار السن بهذه الرحمة ، وفى مقدمتهم الأبوان ، يقول الله تعالى :

﴿ اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ﴾(٤) .

وفى الحديث : « ما أكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله له من يكرمه عند سنه »(٥) .

ولذا حرم قتل النساء والأطفال والشيوخ فى الحرب رحمة بهم .

ـ كذلك كانت وصيته بالرحمة للفقراء والمساكين والخدم والمرضى والعاجزين . قال تعالى :

﴿ ارايت الذى يكذب بالدين . فذلك الذى يدع اليتيم . ولا يحض على طعام المسكين ﴾(٦) .

وقال : **﴿ وأما السائل فلا تنهر ﴾(٧) .**

وقال صلى الله عليه وسلم : « اذا صلى أحدكم للناس فليخفف فان

---

(١) الضحى : ٩ (٢) أحمد (٧٥٦٦) عن أبى هريرة .
(٣) صحيح البخارى (٦٠٠٥) عن سهل بن سعد ، صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٢٨٧ ، ٢٩٨٣
(٤) الاسراء : ٢٣ ـ ٢٤ (٥) الترمذى (٢٠٢٣) عن أنس .
(٦) الماعون : ١ ـ ٣ (٧) الضحى : ١٠

فيهم الضعيف والسقيم والكبير ، واذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء »[1] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان تاجر يداين الناس فاذا رأى معسرا قال لفتيانه : تجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا ، فتجاوز الله عنه »[2] .

وقد دل على تعظيم هذه الرحمة والتحريض عليها مع الخاصة والعامة وبيان عاقبة المتصفين بها فى قوله تعالى :

﴿ فلا اقتحم العقبة . وما أدراك ما العقبة . فك رقبة . او اطعام فى يوم ذى مسغبة . يتيما ذا مقربة . او مسكينا ذا مترية . ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة . اولئك أصحاب الميمنة ﴾[3] .

ولتحقيق هذا التراحم نهج الاسلام فى دعوته الناس الى التراحم منهجا ساميا مؤثرا :

ـ فجعل رحمة الناس هدفا للرسالة المحمدية . قال تعالى : **﴿ وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ﴾**[4] .

وسور القرآن كلها مفتتحة كما ـ ما عدا براءة ـ بـ « بسم الله الرحمن الرحيم »[5] وهى العبارة المشتملة على وصف الشارع الحكيم بالرحمة العامة والخاصة .

ـ وجعلها صفة المبعوث بالدعوة محمد خير قدوة وأحسن أسوة للمؤمنين ، قال تعالى :

﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾[6] .

---

(١) صحيح البخارى (٧٠٣) ، صحيح مسلم جـ ١ ص ٣٤١ ، ٤٦٧
(٢) صحيح البخارى (٢٠٧٨) عن أبى هريرة .
(٣) البلد : ١١ ـ ١٨ (٤) الانبياء : ١٠٧
(٥) خلق المسلم ـ محمد الغزالى ص ٢٥٦
(٦) آل عمران : ١٥٩

حتى قال عليه الصلاة والسلام : « انى لأدخل الصلاة أريد اطالتها فأسمع بكاء الصبى فأخفف من شدة وجد أمه به »[1] . فصدق الله اذ يقول :

﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾(٢) .

وأمر بالتراحم بقوله صلى الله عليه وسلم : « ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء »[3] . وبقوله : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله عز وجل »[4] .

والاسلام هو الذى حث على الرحمة بالحيوان وجعلها سببا لدخول الجنة ــ فلئن كانت الرحمة لكلب تغفر ذنوب البغايا فان الرحمة بالبشر تصنع العجائب[5] .

ــ ونهى عن ايذاء المسلم وظلمه والاعتداء عليه والسخرية والاستهزاء من ضعفه أو حاجته . قال تعالى :

﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ﴾(٦) .

ان هذا التراحم نعمة ومنة من الله . ففى الحديث : « جعل الله الرحمة فى مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا وأنزل فى الأرض جزءا واحدا ، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه »[7] .

* * *

---

(١) صحيح البخارى (٧٠٧) ، عن أبى قتادة ، صحيح مسلم جـ ١ ص ٣٤٢ ، ٤٧٠

(٢) التوبة : ١٢٨ (٣) الترمذى (١٩٢٥)

(٤) صحيح البخارى جـ ٧ ص ٧٣ ، ٥٩٩٧

(٥) خلق المسلم ــ محمد الغزالى ص ٢٦٣

(٦) الأحزاب : ٥٨

(٧) صحيح البخارى (٦٠٠٠) عن أبى هريرة ، صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢١٠٨ ، ٢٧٥٢

٣ ـ التعاون على البر والتقوى :

ان الأخوة الايمانية الصادقة دافعة الى كل خير ، داعية الى التقوى، محققة للبر . وان التعاون على البر والتقوى أثر طيب وثمرة طيبة صالحة من ثمار الأخوة الايمانية ، ذلك أن الأخوة الصادقة المبنية على الحب فى الله والولاية لحزبه أبعد ما تكون عن العزلة والبخل والأثرة . والايمان الصحيح فى القلب الحى لا بد أن يضىء نوره ليشمل الآخرين .

وقد دعا الاسلام الى التعاون فى الخير مطلقا ـ قال تعالى :

﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ﴾(١).

وقال عليه الصلاة والسلام : « الله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه »(٢) .

ـ ويشمل التعاون : التعاون المادى ببدن أو مال أو جاه : يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « كل سلامى من الناس عليه صدقة ، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنتين صدقة ، وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة »(٣) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا ، ومن خلف غازيا فى سبيل الله بخير فقد غزا »(٤) .

وقال : « من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له »(٥) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه فقال : «اشفعوا تؤجروا ، وليقض الله على لسان نبيه ما أحب»(٦)

---

(١) المائدة : ٢

(٢) صحيح مسلم (٢٦٩٩) عن ابى هريرة .

(٣) صحيح البخارى (٢٧٠٧) ، صحيح مسلم (١٠٠٩) كلاهما عن أبى هريرة .

(٤) صحيح البخارى (٢٨٤٣) ، صحيح مسلم (١٨٩٥) عن زيد ابن خالد الجهنى .

(٥) أبو داود (١٦٦٣) عن أبى سعيد .

(٦) صحيح البخارى (٦٠٢٨) عن أبى موسى .

ويشمل التعاون العلمي والفكري بما يحقق الصلاح الديني والدنيوي:

كالنصيحة : وهي معونة الأخ المسلم على اجتناب طريق الشيطان واغراءاته وما يضره في دنياه وفي أخراه . فيحذره من المعصية اذا رآه عليها ، ويذكره فضل الله وعظيم ثوابه للمؤمنين اذا رآه على الطاعة تثبيتا وذكرى نافعة ان شاء الله . ولذا وصف الله نبيه هودا عليه السلام بأنه ناصح لقومه فقال على لسانه : ﴿ **وأنا لكم ناصح امين** ﴾(١) .

وقد جعلها الرسول صلى الله عليه وسلم هي الدين كله ، وطلبها للدين كله ، ومن كل مسلم لكل مسلم : فقال : « الدين النصيحة » . قلنا : لمن ؟ قال : « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »(٢) .

ومن النصيحة الارشاد الى ما يحفظ حياة أخيه المسلم ويرد عنه كيد الظالمين . وفيما قصه الله علينا في كتابه الكريم لنعتبر : قصة مؤمن آل فرعون ، فانه لما رأى عزم القوم على قتل موسى أسرع اليه وقال له :

﴿**ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين**﴾(٣) ، (٤)

كما أنه نصح له في ظهر الغيب ورد عن عرضه وحياته لما تمالأ القوم الكافرون على قتله فقال لهم : ﴿ **أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ، وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم ، ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب** ﴾(٥) .

وقد قام ذلك المؤمن بواجب الأخوة الايمانية من النصيحة ﴿ **فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بكل فرعون سوء العذاب** ﴾(٦) .

---

(١) الأعراف : ٦٨
(٢) صحيح مسلم (٥٥) عن تميم الدارى .
(٣) انظر : فتح القدير ـ الشوكانى جـ ٤ ص ١٦٥ ، ٤٨٨
(٤) القصص : ٢٠ (٥) غافر : ٢٨
(٦) غافر : ٤٥

هـذا وتشمل النصيحة للأخ المسلم ما هو أدنى من ذلك كاماطة الأذى عنه أو عن طريقه أو الارشاد له فى أرض الضلال ان كان بصيرا ، والبصر له ان كان ضريرا . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان أحدكم مرآة أخيه ، فان رأى به أذى فليمطه عنه »[1] .

وقال : « ارشادك فى أرض الضلال لك صدقة ، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة ، واماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة ، وافراغك من دلوك فى دلو أخيك لك صدقة »[2] .

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : وهو تعاون بالدعوة الى الله ، بالأمر بالمعروف لمن تركه أو عارضه ، والنهى عن المنكر لمن ارتكبه أو دعا اليه وزينه ، وهو مقتضى الأخوة الايمانية يقول الله تعالى :

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر »(٣) .

وبه أمر الله تعالى فقال : **« ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون »(٤) .**

وأمر به رسوله صلى الله عليه وسلم فقال : « كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً ولتقصرنه على الحق قصرا ، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم »[5] .

وقال أيضا : « لينصر الرجل أخاه ظالما أو مظلوما ، ان كان ظالما

---

(١) ابو داود (٤٩١٨) ، الترمذى (١٩٣٠) عن أبى هريرة .

(٢) الترمذى (١٩٥٧) عن أبى ذر .

(٣) التوبة : ٧١ (٤) آل عمران : ١٠٤

(٥) ابو داود (٤٣٣٦) عن ابن مسعود .

فلينهه فانه له نصر وإن كان مظلوما فلينصره »[1] وبهذا التعاون الايمانى الصادق شرف الله الأمة الاسلامية فقال :

﴿كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾(٢)

وبتعطيله لعن الله بنى اسرائيل فقال عز وجل :

﴿ لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون ﴾(٣) .

ـ والاصلاح بين الناس : وهو من التعاون فى الذروة ، لأن الأخوة الايمانية له أشد اقتضاءا وايجابا ـ بعد اهتزاز ركنها وضعف كيانها ـ ذلك أن المسلم قد تعتريه نوازع الشيطان بما يثيره فى قلوب المؤمنين من العداوة والبغضاء ليكسر زجاجة الحب الصافية بينهم ويستمتع بجراح الشظايا التى يتقاذف بها المؤمنون . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب ولكن فى التحريش بينهم »[4] ولذلك قال الله تعالى :

﴿ وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن ، ان الشيطان ينزغ بينهم ، ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ﴾(٥) .

ان الاصلاح واجب وحق من حقوق الأخوة الايمانية . يقول الله تعالى :

﴿ انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون ﴾(٦) .

---

(١) صحيح البخارى (٢٤٤٣) عن انس .

(٢) آل عمران : ١١٠ (٣) المائدة : ٧٨ ، ٧٩

(٤) صحيح مسلم (٢١٨٢) عن جابر .

(٥) الاسراء : ٥٣ (٦) الحجرات : ١٠

وقد جاء الأمر به فى مواقف معينة . كما اذا وقع قتال بين طائفتين من المؤمنين ــ حقنا لدماء الأخوة المسلمين ــ قال الله تعالى :

﴿ وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى امر الله ، فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ، ان الله يحب المقسطين ﴾(١) .

وكالاصلاح بين الزوجين عند النشوز ، سواء أكان من الزوج ــ لقوله تعالى :

﴿ وان امراة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا ، والصلح خير ﴾(٢) .

أو كان من الزوجة ــ لقوله تعالى :

﴿ وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ، ان الله كان عليما خبيرا ﴾(٣) .

كما جاء الأمر به على العموم ، عند كل نزاع يفسد على المسلمين وحدتهم وأخوتهم ومودتهم ، قال تعالى :

﴿ لا خير فى كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما ﴾(٤) .

ولأهميته شجع الاسلام عليه بأن شرع دفع الزكاة لمن عزم لاصلاح ذات البين ، فقال تعالى :

﴿ انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين﴾(٥) .

---

(١) الحجرات : ٩
(٢) النساء : ١٢٨
(٣) النساء : ٣٥
(٤) النساء : ١١٤
(٥) التوبة : ٦٠

وقد أمر الله عز وجل برد النزاع بين المسلمين الى الكتاب والسنة، لأنهما الفصل العدل فيه ، ولأن في ذلك اجتماعا للقلوب على طلب الحق، فتزول منها الضغائن والأحقاد ، ويبقى الود والصفاء . يقول الله تعالى :

﴿ فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير واحسن تأويلا ﴾(١) .

هذا هو التعاون : مقتضى الأخوة الايمانية ، ومشربها العذب ، تدوم ما دام ، وتجتمع الكلمة ما أقيم ، ويدرك المسلمون كل نصر وكل عز وتمكين(٢) .

* * *

(١) النساء : ٥٩

(٢) انظر : الأخوة الايمانية ـ ابراهيم بن محمد بن عبد الله آل سلطان ص ٦٠ ـ ٦٤

obeikandl.com

المبحث الثانى

الثمـار الاخروية الآجلة

قال تعالى : ﴿ **ان المتقين فى جنـات وعيون . ادخلوها بسـلام آمنـين** ﴾(١) .

قوله تعالى : ﴿ **ان المتقين فى جنات وعيون** ﴾ أى الذين اتقـوا الفواحش والشرك . « **فى جنات** » أى بساتين . « **وعيون** » هى الأنهار الأربعة : ماء وخمر ولبن وعسل . وأما العيون المذكورة فى سـورة « الانسان » : الكافور والزنجبيل والسلسبيل ، وفى « المطففين » : التسنيم ، وضم العين من « عيون » على الأصل ، والكسر مراعاة للياء . وقرىء بهما .

﴿ **ادخلوها بسلام آمنين** ﴾ قراءة العامة « ادخلوها » بوصل الألف وضم الخاء ، من دخل يدخل ، على الأمر . تقديره : قيل ادخلوها . وقرأ الحسن وأبو العالية ورويس عن يعقوب « ادخلوها » بضم التنوين ووصل الألف وكسر الخاء على الفعل المجهول ، من أدخل . أى أدخلهم الله اياها . ومذهبهم كسر التنوين فى مثل « برحمة ادخلوا الجنة » ، وشبهه ، الا أنهم ههنا ألقوا حركة الهمزة على التنوين ، اذ هى ألف قطع ، ولكن فيه انتقال من كسر الى ضم ثم من ضم الى كسر فيثقل على اللسان . « **بسلام** » أى بسلامة من كل داء وآفة ، وقيل : بتحية من الله لهم . « **آمنين** » اى من الموت والعذاب والعزل والزوال .

قوله تعالى : ﴿ **ونزعنا ما فى صـدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين . لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين** ﴾(٢) .

قال ابن عباس : أول ما يدخل أهل الجنة الجنة تعرض لهما عينان ، فيشربون من احدى العينين فيذهب الله ما فى قلوبهم من غل ، ثم يدخلون العين الأخرى فيغتسلون فيها فتشرق ألوانهم وتصفو وجوههم ، وتجرى

---

(١) الحجر : ٤٥ ، ٤٦ (٢) الحجر : ٤٧ ، ٤٨

عليهم نضرة النعيم ، ونحوه عن على رضى الله عنه • وقال على بن الحسين: نزلت فى أبى بكر وعمر وعلى والصحابة ، يعنى ما كان بينهم فى الجاهلية من الغل • والقول الأول أظهر ، يدل عليه سياق الآية • وقال على رضى الله عنه : أرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير من هؤلاء ، والغل : الحقد والعداوة ، يقال منه : غل يغل • ويقال من الغلول وهو السرقة من المغنم: غل يغل ، ويقال من الخيانة : أغل يغل • كما قال :

جزى الله عنا حمزة ابنة نوفل جزاء مغل بالأمانة كاذب

وقد مضى هذا فى آل عمران • ﴿ **اخوانا على سرر متقابلين** ﴾(١) أى لا ينظر بعضهم الى قفا بعض تواصلا وتحابيا ، عن مجاهد وغيره • وقيل : الأسرة تدور كيفما شاءوا ، فلا يرى أحد قفا أحد •

وقيل : « **متقابلين** » قد أقبلت عليهم الأزواج وأقبلوا عليهن بالود • و « **سرر** » جمع سرير ، مثل جديد وجدد • وقيل : هو من السرور فكأنه مكان رفيع ممهد للسرور • والأول أظهر • قال ابن عباس : على سرر مكللة بالياقوت والزبرجد والدر ، السرير ما بين صنعاء الى الجابية وما بين عدن الى أيلة • و « **اخوانا** » نصب على الحال من « **المتقين** » • أو من المضمر فى « **ادخلوها** » أو من المضمر فى « **آمنين** » أو يكون حالا مقدرة من الهاء والميم فى « **صدورهم** » ﴿ **لا يمسهم فيها نصب** ﴾ أى اعياء وتعب• ﴿ **وما هم منها بمخرجين** ﴾ دليل على أن نعيم الجنة دائم لا يزول ، وأن أهلها فيها باقون• ﴿ **اكلها دائم** ﴾ ، ﴿ **ان هذا لرزقنا ما له من نفاد** ﴾(٢) •

ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة »(٣) •

---

(١) الحجر : ٤٧

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ـ محمد بن احمد القرطبى ، جـ ٩ ، ١٠ ص ٣٢ ـ ٣٤ ، بيروت ـ دار احياء التراث العربى ، ١٩٦٦ ـ والآية من سورة ص : ٥٤

(٣) صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٠٧٤ ، ٢٦٩٩

وعن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ونحن فى مسجد المدينة فقال : « انى رأيت البارحة عجبا : رأيت رجلا من أمتى جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرد عنه ، ورأيت رجلا من أمتى قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك، ورأيت رجلا من أمتى قد استوحشته الشياطين فجاءه ذكر الله فخلصه من بينهم ، ورأيت رجلا من أمتى قد استوحشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم ، ورأيت رجلا من أمتى يلهث عطشا كلما ورد حوضا منع منه فجاءه صيامه فسقاه وأرواه ، ورأيت رجلا من أمتى والنبيون قعودا حلقا حلقا كلما دنا لحلقة طردوه فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده وأقعده بجنبى ، ورأيت رجلا من أمتى من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة فهو متحير فيها فجاءته حجته وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه فى النور ، ورأيت رجلا من أمتى يكلم المؤمنين فلا يكلموه فجاءته صلة الرحم فقالت : يا معشر المؤمنين كلموه فكلموه ، ورأيت رجل من أمتى يتقى شرر النار ووهجها بيده عن وجهه فجاءت صدقته فصارت سترا على وجهه وظلا على رأسه ، ورأيت رجلا من أمتى قد أخذته الزبانية من كل مكان فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذاه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة ، ورأيت رجلا من أمتى جاثيا على ركبتيه بينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله ، ورأيت رجلا من أمتى قد هوت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله تعالى فأخذ صحيفته فجعلها فى يمينه، ورأيت رجلا من أمتى قد خف ميزانه فجاءته أفراطه فثقلوا ميزانه ، ورأيت رجلا من أمتى قائما على شفير جهنم فجاءه وجله من الله فاستنقذه من ذلك ومضى ، ورأيت رجلا من أمتى وهو فى النار فجاءته دموعه التى بكى من خشية الله فى الدنيا فاستخرجته من النار ، ورأيت رجلا من أمتى قائما على الصراط يرعد كما ترعد السعفة فجاءه حسن ظنه بالله فسكن رعده ومضى ، ورأيت رجلا من أمتى على الصراط يزحف أحيانا ويحبو أحيانا فجاءته صلاته فأخذت بيده وأقامته ومضى على الصراط ، ورأيت

رجلا من أمتى انتهى الى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا اله الا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة »[1] .

قلت : هذا حديث عظيم ذكر فيه أعمالا خاصة تنجى من أهوال خاصة والله أعلم ، وقد ينجى منها كلها ما ثبت فى صحيح مسلم عن ابن مسعود الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شىء الا أنه كان يخالط الناس وكان موسرا فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر قال : قال الله عز وجل : أنا أحق بذلك منك ، تجاوزوا عن عبدى »[2] .

وخرج عن حذيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم : « أن رجلا مات فدخل الجنة فقيل له : ما كنت تعمل ؟ فقال : انى كنت أبايع الناس فكنت أنظر الى المعسر وأتجاوز فى السكة ــ أو فى النقد ــ فغفر له »[3] .

وعن أبى قتادة رضى الله عنه أنه طلب غريما له فتوارى عنه ثم وجده فقال : انى معسر ، قال : آلله ؟ فقال : آلله ، قال : فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه »[4] .

وعن أبى اليسر ــ واسمه كعب بن عمرو ــ رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله فى ظله »[5] .

وقال أنس بن مالك رضى الله عنه : « من أنظر مديونا فله بكل يوم عند الله بوزن أحد ما لم يطلبه » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله : الامام العادل ، وشاب نشأ

---

(١) مسند الامام احمد بن حنبل جـ ٥ ص ٩
(٢) صحيح مسلم جـ ٣ ص ١١٩٦ ، ١٥٦١
(٣) رواه البخارى ومسلم جـ ٣ ص ١١٩٥ ، ١٥٦٠
(٤) صحيح مسلم جـ ٣ ص ١١٥٦ ، ١٥٦٣
(٥) صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٣٠٢ ، ٣٠٠٦

فى عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : انى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه »[1] .

وروى أبو هدبة ابراهيم بن هدبة قال : حدثنا أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أشبع جائعا وكسى عريانا وآوى مسافرا أعاذه الله من أهوال يوم القيامة »[2].

ان قلب المؤمن يستشعر يد الله عليه ، ويحس آلاءه فى كل نفس وكل نبضة ومن ثم يستصغر كل عباداته ، ويستقل كل طاعاته ، الى جانب آلاء الله ونعمائه . كذلك هو يستشعر بكل ذرة فيه جلال الله وعظمته ، ويرقب بكل مشاعره يد الله فى كل شىء من حوله ، ومن ثم يستشعر بالهيبة ، ويشعر بالوجل ، ويشفق أن يلقى الله وهو مقصر فى حقه ، لم يوفه حقه عبادة وطاعة ، ولم يقارب أياديه معرفة وشكرا ، وهؤلاء هم الذين يسارعون فى الخيرات ، وهم الذين يسبقون لها فينالونها فى الطليعة ، بهذه اليقظة وبهذا التطلع ، وبهذا العمل ، وبهذه الطاعة ، لا أولئك الذين يعيشون فى غمرة ويحسبون لغفلتهم أنهم مقصودون بالنعمة ، مرادون بالخير ، كالصيد الغافل يستدرج الى مصرعه بالطعم المغرى . ومثل هذا الطير فى الناس كثير ، يغمرهم الرخاء ، وتشغلهم النعمة ، ويطغيهم الغنى ، ويلهيهم الغرور ، حتى يلاقوا المصير !

تلك اليقظة التى يفرضها الاسلام على قلب المسلم . والتى يستجيشها الايمان بمجرد استقراره فى القلوب ، ليست أمرا فوق الطاقة ، وليست تكليفا فوق الاستطاعة . انما هى الحساسية الناشئة من الشعور بالله والاتصال بالله . ومراقبته فى السر والعلن ، وهى فى حدود الطاقة

---

(١) صحيح مسلم ج ٢ ص ٧١٥ ص ١٠٣١

(٢) انظر : التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة ـ للقرطبى ـ ص ٢٤٠ ـ ٢٤٢

الانسانية حين يشرق فيهـا ذلك النور الوضيء : ﴿ **ولا نكلف نفسا الا وسعها ، ولدينا كتاب ينطق بالحق ، وهم لا يظلمون** ﴾(١) .

ولقد شرع الله التكاليف وفق ما يعلم من استعداد النفوس ، وهو محاسبهم وفق ما يعملونه فى حدود الطاقة ، لا يظلمون بتحميلهم ما لا يطيقون ، ولا يبخسهم شيئا مما يعملون ، وكل ما يعملونه محسوب فى سجل « ينطق بالحق » ويبرز ظاهرا غير منقوص ، والله خير الحاسبين .

ان أصحاب الجنة هم أصحاب الشعور بخشية الله ، خشية تدفع الى كل صلاح ، وتنهى عن كل انحراف ، الشعور الذى يزيح الحواجز ، ويرفع الأستار ويقف القلب عاريا أمام الواحد القهار . والذى يخلص العبادة ويخلص العمل من شـوائب الرياء والشرك فى كل صـورة من صوره . فالذى يخشى ربه حقا لا يملك أن يخطر فى قلبه فللا لغيره مع خلقه . وهو يعلم أن الله يرد كل عمل ينظر فيه العبد الى غيره معه . فهو أغنى الشركاء عن الشرك ، فاما عمل خالص له ، والا لم يقبله . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله تعالى : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك . من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه »(٢) .

ان أصحاب الجنة هم المتقون الخائفون المترقبون . والله لا يجمع على نفس خوفين : خوفها منه فى الدنيا ، وخوفها يوم القيامة . فمن اتقاه فى العاجلة آمنه فى الآجلة ، ومع الأمان فى أفزع موطن يغمره بالأنس والتكريم .

وقال صلى الله عليه وسلم : « قال الله عز وجل : لا أجمـع على عبدى خوفين ، ولا أجمـع له أمنين ، فان أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة ، وان خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامة »(٣) .

وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجنة وأصحابها

---

(١) المؤمنون : ٦٢

(٢) رواه الترمذى جـ ٨ ص ٣٠٣ ، ٣١٥٢

(٣) أخرجه ابن حبان فى صحيحه .

فقال : « عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة : شهيد ، وعفيف متعفف ، وعبد أحسن عبادة الله ونصح مواليه »[1] .

وفى المسند من حديث أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان المتحابين لترى غرفهم فى الجنة كالكوكب الطالع الشرقى أو الغربى ، فيقال : من هؤلاء ؟ فيقال : هؤلاء المتحابون فى الله عز وجل » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ان حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم النبيون والشهداء » فقالوا : يا رسول الله ، صفهم لنا . فقال : « المتحابون فى الله ، والمتجالسون فى الله ، والمتزاورون فى الله »[2] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى يقول : حقت محبتى للذين يتزاورون من أجلى ، وحقت محبتى للذين يتناصرون من أجلى»[3].

وقوله صلى الله عليه وسلم : « ان رجلا زار أخا له فى الله فأرصد الله له ملكا ، فقال : أين تريد ؟ قال : أريد أن أزور أخى فلانا ، فقال : لحاجة لك عنده ؟ قال : لا ، قال : لقرابة بينك وبينه ؟ قال : لا ، قال : بنعمة لك عنده ؟ قال : لا ، قال : فبم ؟ قال : أحبه فى الله ، قال : فان الله أرسلنى اليك أخبرك بأنه يحبك لحبك اياه ، وقد أوجب لك الجنة »[4] .

ان أهل الاخلاص المتحابين لله ، وفى سبيل الله يشملهم الله برحمته يوم تدنو الشمس من الرءوس .

ان الصديق الوفى يستمر فى عطائه الروحى والوجدانى والمادى لصديقه أو لأبناءه من بعده ويمتد وفاؤه أو يقصر حسب قواه الروحية .

ان الوفاء للصديق عطاء من طرف واحد ، هو صداقة بدون صديق .

---

(١) رواه الترمذى عن ابى هريرة .
(٢) رواه النسائى وهو صحيح .
(٣) رواه أحمد والحاكم وصححه .
(٤) رواه مسلم جـ ٤ ص ١٩٨٨ ، ٢٥٦٧

والوفاء للصديق بهذا الوصف فضيلة عليا بمعنى الكلمة ، فهو عطاء روحى ووجدانى ومادى لا ينتظر ردا ولا يتوقع أجرا • ان الصديق يستمر فى سؤاله عن صديقه ، وفى اتصاله به والاهتمام بأمره ومعاونته وتقديره والابتهاج له وبه • على الرغم من زوال الأسباب التى كانت من وراء ذلك ، وهذا العطاء وهذا الحب وهذا التقدير لا يفرضه العدل ولا يوجبه، ومن ثم كان فضيلة خلقية عليا[1] •

ولذلك يعيش هؤلاء المؤمنون حياتهم الدنيا ربانيين ، يسلكون سبيل الفطرة ، سبيل الايمان بالله ، ويتصرفون تصرف « الخليفة » المسئول ، الذى يعطى ولا يأخذ ، والذى يصر على أن يقوم بكل ما يطلب اليه أن يقوم به رغم مكر الشيطان وكيده وتقربا الى الله ، وأملا فى جنته ، وبعدا عن عذاب ناره :

﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾[2] •

واذا تمرس الانسان فى حياته على حب الخير لغيره ــ وان لم يفعل هذا الخير ــ فان نفسه تصفو بالتدريج شيئا فشيئا من عامل الحقد ، حتى تصبح خالية منه أو على وشك الخلو • وبمقدار ما ينتزع منها الحقد ، بمقدار ما يتمكن منها حب الخير والمودة للناس ، وكلما تمكن هذا الحب للخير كلما أقدمت عليه ، وكلما بدا ذلك فيما تفعل ، أو فيما تتحدث ، أو فيما تنصح به للغير •

---

(١) الفضائل الخلقية فى الاسلام ــ احمد عبد الرحمن ابراهيم ــ ص ٢٢٢ ، ٢٢٣

(٢) البقرة : ١٧٧

ولأن انتزاع الحقد عامل أساسى فى تمكن الحب من نفس الانسان ، ولأن تمكن الحب من نفس الانسان سبب مباشر لسعادة الانسان ، امتن الله على رسوله صلى الله عليه وسلم بتلك السعادة التى تكون للمؤمنين المتقين فى حياتهم الأخروية فحققها له فى حياته الدنيوية فقال جل شأنه : ﴿ **ألم نشرح لك صدرك** ﴾(١) ، فالله سبحانه وتعالى شرح صدر رسوله صلى الله عليه وسلم بأن نزع منه الحقد والغل ومكن من نفسه حب الخير ، وبالتالى جعلها نفسا مطمئنة راضية . من هنا ندرك لماذا دعا الاسلام الى نزع الحقد واحلال حب الخير محله فى قول رسوله الكريم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

الاسلام اذن لا يبغى الا أن ينعم الانسان بحياته فى الدنيا على نحو ما يتفضل الله عليه بهذه الحياة المطمئنة فى آخرته ، وهو لا ينعم بحياة انسانية صافية الا اذا راض نفسه على حب الخير(٢) .

ان الايمان هو مقدمة لحب الانسان للغير ، وان نتيجة الحب للغير هى الفلاح والسعادة فى الدنيا والآخرة .

* * *

---

(١) الشرح : ١

(٢) انظر : الاسلام فى حياة المسلم ـ محمد البهى ، ص ٣٦٦ ـ القاهرة ـ مكتبة وهبة ـ ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) .